



الرَّجُلُ الَّذِي تَحَدَّثَانِي

بقلم

أحمد عبد السلام البقالي

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان ، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البقالي ، أحمد عبد السلام

الرجل الذي تحداني . - الرياض .

... ص ؛ ... سم

ردمك ٦-٢٦٦-٢٠-٩٩٦٠

أ- العنوان

١- القصص البوليسية العربية

١٧/٠٥٠٨

ديوي ٠٨٧٢ ، ٨١٣

رقم الإيداع : ١٧/٠٥٠٨

ردمك ٦-٢٦٦-٢٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى ١٤١٧هـ

الطبعة الثانية - مكررة

١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

لولم يكن تحدى شعوري لما كان تعرّض لكل تلك المتاعب!
في أيام رمضان كنت أحبُّ الهروب من البيت والذهاب إلى
الصديق العزيز، البحر . . . كنت ألقى بالسَّلّة والقَصَبَة من
فوق سطح الدّار إلى الشارع، وأتعلّقُ بالباب وأتسلّل إلى
الخارج . . . بهذه العملية كنت أحسُّ كأنّي أسرق شيئاً . . .
حُرّيتي مثلاً!

وفي البحر كنتُ أجدُ السّلام . . .

وقفتُ على صخرة، أرمي بصنّارتي وأنتظر . . . كان اليوم
صيفياً جميلاً، كثيرٌ من الأوروبيين يعومون . المغاربة لا
يسبحون احتراماً لرمضان . . ! ورغم أنّ السباحة خطرٌ على
الصّوم، كما قيل لنا في المدرّسة، فقد كنتُ، بعدَ وقفةٍ طويلةٍ
تحت لفح الشّمس، أنزل إلى الماء الأزرق البلّوري حذراً ألاّ
يغطس رأسي . . . فأحسُّ برودة الماء في أحشائي لذيدةٍ
منعشة . . .

رَأَيْتُ ذَلِكَ الرَّجُلَ قَادِمًا نَحْوَ الْمِينَاءِ الَّذِي كُنْتُ أَصْطَادُ
فَوْقَهُ، وَتَجَاهَلْتُهُ؛ فَقَدْ تَجَمَّعَتْ جَوْقَةٌ مِنَ الْأَطْفَالِ حَوْلَ سَلَّتِي،
يُنْقَبُونَ بَيْنَ الْأَسْمَاكِ عَنِ وَاحِدَةٍ حَيَّةٍ لِيَضَعُوهَا فِي بَرَكَةِ مَاءِ
قَرِيْبَةٍ، وَيَتَفَرَّجُوا عَلَيْهَا.

كُنْتُ فِي نَحْوِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ، مَعْتَدِلَ الطُّوْلِ، نَحِيْفًا مِنْ
شِدَّةِ الْجُوعِ، أَفْطَرْتُ فِي الصَّبَاحِ وَاقِفًا، أُجْرِي إِلَى الْبَحْرِ، وَأَنْسَى
الْعَوْدَةَ لِلْغَدَاءِ... وَمَعَ الظُّهْرِ أَسْمَعُ غَرْغَرَةَ أَمْعَائِي
فَأَتَجَاهَلُهَا. وَقُبَيْلَ الْعَصْرِ يَمِضِي الْجُوعُ.

كَانَتْ أُمِّي تُعَلِّقُ عَلَيَّ عَوْدَتِي الْمَتَأَخَّرَةَ بِاسْتِمْرَارٍ:

«إِنَّ فِي الْبَحْرِ جِنِّيَاتٍ يَسْتَوْلِينَ عَلَى قُلُوبِ الْأَوْلَادِ.
وَالْبَعْضُ يَذْهَبْنَ بِعُقُورِهِمْ!».

وَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ بِمَلَابِسِهِ الْعَسْكَرِيَّةِ، جَلْبَابٍ أَخْضَرَ
مَفْتُوحٍ مِنَ الْأَمَامِ، وَعَلَى صَدْرِهِ شِعَارٌ فِرْقَتِهِ مُطْرَزًا بِالْأَصْفَرِ،
عِبَارَةٌ عَنِ هِلَالٍ فِي وَسْطِهِ بِنَدَقِيَّةٍ وَرِمْحَانٍ مُتْقَاطِعَانِ. وَعَلَى رَأْسِهِ
طَرْبُوشٌ أَحْمَرٌ بَدُونِ شُوشَةٍ. وَفِي رِجْلَيْهِ حِذَاءٌ قَمَاشِيٌّ أَبْيَضُ،



وقد لَوَى على سَاقِهِ شَرِيطاً أَسْوَدَ عَرِيضاً يُغَطِّي ما بَيْنَ الرَكْبَةِ
والكَعْبِ، يُدْعَى «الطَّرَاقِ».

كَانَتْ جَوْقَةَ الأَطْفَالِ قد ذَهَبَتْ حِينَ وَصَلَ . وَقَفَ ، أولاً،
على صَخْرَةٍ خَلْفِي ، ثُمَّ نَزَلَ قَلِيلاً حَتَّى صَارَ بِمُحَاذَاتِي عَلَى
مُسْتَوَى المَاءِ ، ثُمَّ لَوَى رُكْبَتَيْهِ وَأَفْعَى .

عَرَفْتُهُ حِينَ نَظَرْتُ إِلَى وَجْهِهِ الأَحْمَرِ وَحَاجِيْنِهِ الأَشْهَبِيْنِ
الصَّائِعِيْنِ فِيهِ ، وَفِيهِ الَّذِي لا يَنْطَبِقُ تَمَامًا .

كَانَ يَنْظُرُ إِلَى البَحْرِ ، ثُمَّ إِلَى الأُفُقِ ، نَاحِيَةَ طَنَجَةِ ، حَيْثُ
يَكْتَسِي السَّاحِلُ بَضْبَابٍ رَقِيْقٍ ، يَتَصَاعَدُ مِنَ الرَّمَالِ المَبْتَلَّةِ ،
والأَمْوَاجِ الدَّائِمَةِ الانْكَسَارِ عَلَى الشَّاطِئِ .

وَنظَرَ حَوَالِيْهِ ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى جَنْبِهِ فَأَخْرَجَ عُلْبَةَ تَبْعِ
رَخِيصٍ ، أَفْرَغَ مِنْهَا قَلِيلاً فِي يَدِهِ ، ثُمَّ أَغْلَقَهَا وَأَعَادَهَا إِلَى
جَنْبِهِ . وَأَخْرَجَ عُلْبَةً مِنَ الوَرَقِ المَقْوَى الأَحْمَرِ ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا وَرْقَةً
لَفٌّ رَهِيْفَةً وَأَعَادَهَا إِلَى جَنْبِهِ ، وَوَضَعَ التَّبْعَ وَسَطَ الوَرْقَةِ بِعِنَايَةٍ
كَبِيْرَةٍ ، وَبَدَأَ يَلْفُهُ وَيَنْظُرُ إِلَيَّ مِنْ تَحْتِ جَفْنَيْهِ . . .

وَكُنْتُ أَخْتَلِسُ النَّظَرَ إِلَيْهِ، وَأَحَاوِلُ أَنْ أَبْدُوَ طَبِيعِيَا بِقَدْرِ
الإِمْكَانِ . وَفِي الْحَقِيقَةِ كُنْتُ أَنْتَظِرُ شَرْحًا وَلَوْ كَاذِبًا . . . مَثَلًا :
« الطَّبِيبُ أَمَرَنِي بِالتَّدْخِينِ ، اللَّهُ يَعْفُو عَنَّا يَا أَحِي ! » كَانَتْ
تَكْفِي لِتَبْرِيرِ إِحْسَاسِهِ بِوُجُودِي . . .

لَمْ يَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ !

لَفَّ السَّيِّجَارَةَ ، وَالصَّقَّ طَرْفَهَا بِلِسَانِهِ ، ثُمَّ وَضَعَهَا بَيْنَ
شَفَتَيْهِ وَرَاحَ يَبْحَثُ فِي جُيُوبِهِ عَنِ الْوَقِيدِ .

وَبَعْدَ لَحْظَةٍ صَاحَ بِي :

- إِيه . . .

قُلْتُ :

- مَاذَا ؟

- وَقِيدٌ . أَلَيْسَ مَعَكَ وَقِيدٌ ؟

كَانَ يَشْرُحُ لِي كَأَنِّي أَعْجَمِيٌّ ؛ قُلْتُ :

- لَا أَدْخُنُ .

فَنظَرَ إِلَىٰ بِحَاجِبَيْنِ مَرْفُوعَيْنِ دُونَ أَنْ يُطَبِّقَ فَمَهُ، وَقَالَ :
- هَا هُوَ . وَجَدْتُهُ .

وَأَخْرَجَ وَقِيدَةً مِنَ الْعُلْبَةِ الصَّغِيرَةِ بِإِصْبَعَيْنِ خَشِينَيْنِ، وَحَكَهَا
بِجَانِبِ الْعُلْبَةِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ حَتَّى التَّهَبَّتْ، ثُمَّ وَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ
لِيَحْمِيهَا مِنَ الرِّيحِ، وَأَدْخَلَ السِّيَّجَارَةَ فَأَشْعَلَهَا، وَبَدَأَ الدُّخَانَ
يَتصَاعَدُ مِنْ بَيْنِ شَفْتَيْهِ وَمُنْخَرِيهِ، وَهُوَ يَقْفُلُ عَيْنَهُ الْيُسْرَى
لِيَتَجَنَّبَهُ . وَنَفَخَ عَلَى الْوَقِيدَةِ فَأَطْفَأَهَا، ثُمَّ وَضَعَهَا عَلَى صَخْرَةٍ
بِجَانِبِهِ بِعِنَايَةٍ، وَكَأَنَّهُ يَخْشَى أَنْ يَحْرَقَ الْبَحْرَ . . .

وَرَفَعَ عَيْنَهُ نَحْوِي، ثُمَّ أَمْسَكَ بِالسِّيَّجَارَةِ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ، وَبَدَأَ
يَنْفُثُ الدُّخَانَ دَوَائِرَ فِي الْفَضَاءِ، ثُمَّ يَخْرِجُهُ مِنْ أَنْفِهِ سَرِيعًا،
وَبشْكَلٍ نَافُورِي، وَيَنْظُرُ إِلَى السِّيَّجَارَةِ، وَيَنْفُضُ رَمَادَهَا بِطَرَفِ
بَنْصَرِهِ . . .

وَكَمَا يُقَالُ فِي الْمَثَلِ : «الْوَاحِدُ لَا يُسَمَّى لِصَا إِلَّا حِينَ يُقْبَضُ
عَلَيْهِ» . كَذَلِكَ الْفَاسِقُ لَا يَتَمَتَّعُ بِفُجُورِهِ إِلَّا حِينَ يَأْتِيهِ عَلَى
مَرَأَى مِنَ النَّاسِ ! وَمَنْ عَمِيَ التَّنَادِيهِ بِتِلْكَ السِّيَّجَارَةِ تَبَيَّنَ لِي أَنَّهُ
لَمْ يَدُقْ فِي حَيَاتِهِ أَحْلَى مِنْهَا !

وَحَاوَلْتُ أَلَّا أَنْظُرَ إِلَيْهِ . كُنْتُ مَجْرُوحًا ، أَحْسُ بِالْأَلَمِ لِعَجْزِي
عَنْ رَدِّ الْإِهَانَةِ . كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى طَرَفِ الْمِينَاءِ الْآخِرِ
وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، أَوْ يَنْزِلَ إِلَى الشَّاطِئِ وَرَاءَ الْمِينَاءِ حَيْثُ الْمَكَانُ
خَالٍ . وَلَكِنَّهُ عَمْدًا اخْتَارَنِي لِيَرَى إِلَى أَيِّ حَدِّ يُمْكِنُ أَنْ يَشُورَ
شُعُورِي تَحْتَ ضَغْطِ اسْتِفْزَازِهِ الْهَائِلِ . . . كَانَ يَتَحَدَّثَانِي ! كُلُّ
نَفْسٍ مِنْ تِلْكَ السَّيِّجَارَةِ صَفْعَةٌ لِكِرَامَتِي وَدَلِيلٌ عَلَى عَجْزِي
وَجُبْنِي !

يَا جَبَّانُ !

وَأَقْسَمْتُ أَنْ أَنْتَقِمَ مِنْهُ شَرَّ انْتِقَامٍ إِذَا أُتِيحَتْ لِي الْفُرْصَةُ !
كُنْتُ أَعْرِفُهُ . كَانَ يَسْكُنُ قَرْيَا مِنْ «حَوْمَتَنَا» فِي غُرْفَةٍ
صَغِيرَةٍ فَوْقَ دَارِ «الْحَلِيمِي» حَيْثُ يَأْتِي الْأَطْفَالُ أَيَّامَ
«الْعَوَاشِرِ»^(١) وَيَقْفُونَ عَلَى بَابِهَا يَصْرُخُونَ :

«بَاشْ تَعَيَّدْ هَذَا الْمَصْرِيَّةَ ؟

بِالْفِرَاقِشِ دَ الْجَنِّيَّةِ !»^(٢) .

(١) العواشر : الأيام السابقة للأعياد .

(٢) «بماذا سيعيد أهل هذه الغرفة ؟ بكوارع الجنية !» .

فَيَرْجُمُهُم «الْحَلِيمِي» بِحِدَائِهِ ؛ لِأَنَّهُمْ يَهْرَبُونَ الزَّبَائِنَ !

كُنْتُ أَلْقَى الْعَسْكَرِيَّ كُلَّ صَبَاحٍ فِي طَرِيقِي إِلَى الْمَدْرَسَةِ
يُدْخِنُ وَيَسْعُلُ ذَاهِبًا إِلَى «الْقَشْلَةِ» - الْمَعْسُكِر - أَوْ «الْعُش» ، كَمَا
كَانَ يُعْرِفُ فِي الْمَدِينَةِ الصَّغِيرَةِ .

وَحِينَ أَنْتَهَى مِنْ سِيَجَارَتِهِ وَجَّهَ لِي آخِرَ صَفْعَاتِهِ ، رَمَى
الْعَقَبَ عَلَى قَصْبَتِي فِي مَحَدِّ سَافِرٍ ، وَقَامَ يَقْفِزُ عَلَى الصُّخُورِ
عَائِدًا إِلَى الْمَدِينَةِ . . .

كَانَ يَدْفَعُنِي شُعُورٌ قَوِيٌّ أَنْ أُتْبِعَهُ ، وَأَهْيَجَ عَلَيْهِ جَمَاعَةَ
الْأَصْحَابِ . إِنَّهُمْ هُنَاكَ يَلْعَبُونَ الْكُرَةَ عَلَى الشَّاطِئِ الْآخِرِ .
أَسْمَعُ صِيَاحَهُمْ وَصِدَاهُ فَوْقَ الْمِينَاءِ الطَّوِيلِ مِنْ حِينَ لَأخَرَ حِينَ
تَهْدَأُ الْأَمْوَاجُ ، وَأَصِيخُ بِسَمْعِي فِي لِحْظَةِ الصَّمْتِ الْقَصِيرَةِ .
وَمِثْلُ هَذَا الْخَبَرِ لَنْ يَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ بَيْنَهُمْ ! إِنَّهُمْ يُصْبِحُونَ
كَالصَّحَابَةِ بِالنَّسْبَةِ لِكُلِّ مَنْ يَأْتِي بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ السَّعِيدَةِ !

وَلَكِنَّ السَّحَرَ الَّذِي كَانَ يَمْنَعُنِي دَائِمًا مِنْ مَغَادِرَةِ مَكَانِي
حَتَّى وَأَنَا أَمُوتُ جُوعًا أَغْمَضَ عَيْنِي عَنْ جَمِيعِ الْإِهَانَاتِ ،

وَجَعَلَنِي أَنْسَى كُلَّ شَيْءٍ، مُرَكِّزًا اهْتِمَامِي عَلَى الْخَيْطِ الْمُدَلَّى فِي
الْمَاءِ، وَقَدْ تَوَجَّهْتُ بِجَمِيعِ أَحَاسِييِ إِلَى يَدِي الْمَمْسُوكَةِ بِالْقَصْبَةِ،
أَنْتَظِرُ الْإِشَارَاتِ اللَّذِيذَةَ مِنْ تَحْتِ الْمَاءِ... تِلْكَ الْارْتِعَاشَاتُ
الْخَفِيفَةُ الْآتِيَةُ مِنْ أَفْوَاهِ السَّمَكِ تَبْعُثُ نَشْوَةَ عَمِيقَةً فِي نَفْسِ
الصِّيَادِ!

وَمَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ عَدْتُ إِلَى الْبَيْتِ، وَنَسِيتُ كُلَّ شَيْءٍ
عَنِ الْعَسْكَرِيِّ الْمُفْطَرِّ فِي رَمَضَانَ...

* * *

وَمَرَّتْ بَضْعَةُ أَيَّامٍ... وَكُنْتُ فِي الشُّوقِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ
الأَصْدِقَاءِ نَتَجَوَّلُ بِدُونِ هَدَفٍ وَاضِحٍ، نَتَفَرِّجُ عَلَى لُصُوصِ
«الهندي» و «الدَّالَّاحِ» (*)، وَقَاطِعِي صَرَاتِ النُّقُودِ بِشَفَرَاتِ
الْحِلَاقَةِ مِنْ أَعْنَاقِ الْقَرُويَاتِ وَهُمْ يُرَاسُونَ حِرْفَهُمُ الدَّقِيقَةَ!
وَمِنْ وَقْتٍ لآخر يُضْبَطُ أَحَدُهُمْ، وَيَبْدَأُ الصَّرَاحُ وَالْمُطَارَدَةُ
دَاخِلَ الزَّحَامِ!..!

(* الهندي : التين الشوكي . والدالاح : البطيخ .

وَفَجْأَةً رَأَيْتُ صَاحِبِي الْعَسْكَرِيِّ، مُفْطِرَ رَمَضَانَ، يَشْتَرِي
«دَلَّاحَةً» مِنْ أَحَدِ الْخَضَّارِينَ دُونَ أَنْ يَرَانِي . . . مُهِمٌّ جِدًّا أَلَّا يَرَانِي !

التفتُّ إلى الجماعةِ في الحالِ :

- ذَلِكَ هُوَ صَاحِبِي !

- من ؟

- مُفْطِرُ رَمَضَانَ !

وَأَعْظَمُ مَغَامِرَاتِ أَيِّ غُلَامٍ فِي سِنِّنَا، أَيَّامَ رَمَضَانَ، هِيَ
مُصَادَفَةُ أَحَدِ مُفْطِرِي رَمَضَانَ ! وَتَبِعْنَاهُ دُونَ أَنْ يَفْطِنَ إِلَى
وُجُودِنَا . . . مُهِمٌّ أَلَّا يَفْطِنَ . كَانَ الْوَقْتُ ظَهْرًا، وَالْجَوُّ حَارًّا .
مُجَرَّدُ تَخِيلِ قِطْعَةٍ دَلَّاحٍ هَمْرَاءَ بَارِدَةٍ يَسْرِي مَأْوَهَا الشَّهِيُّ فِي
الْحُلُقُومِ فِي ذَلِكَ الْجَوِّ الْقَائِظِ الْجَافِّ يُسِيلُ اللَّعَابَ . . .

وَنَزَلَ الرَّجُلُ مِنْ بَابِ الْبَحْرِ، وَ«الدَّلَّاحَةُ» تَحْتَ جَلْبَابِهِ
كَالصَّبِيِّ؛ مَشَى عَلَى الرَّمْلِ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْيَاءَ الطَّوِيلَ الَّذِي
يَدْخُلُ الْبَحْرَ وَيَمِيلُ إِلَى الْيَمِينِ مِثْلَ «حَرْفِ الْكَافِ»، نِصْفُهُ
الْأَعْلَى دَاخِلُ الْمَاءِ .



وَنَظَرَ حَوَالِيهِ فِي جَمِيعِ الْأَتِّجَاهَاتِ . . . لَا شَيْءَ غَيْرَ عَادِي . . .
أَكْوَامٌ مِنَ الصَّغَارِ فِي كُلِّ مَكَانٍ عَلَى سَاحَةِ الرَّمْلِ الشَّاسِعَةِ
الْأَطْرَافِ يَلْعَبُونَ كُرَةَ الْقَدَمِ . فِرْقٌ عَدِيدَةٌ مِنْهُمْ حَسَبِ الْفُصُولِ
فِي الْمَدَارِسِ ، وَكُلُّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَرْضِ ، بَحْثًا عَنْ كُرَاتِ
مُضْرِبٍ فِي حَجْمِ الْبُرْتُقَالِ بَيْنَ الرَّمَالِ !

وَرَأَقَبْنَاهُ نَحْنُ مِنْ بَعِيدٍ ، مَشَى عَلَى مَهَلٍ ، حَتَّى وَصَلَ آخِرَ
الْمِيْنَاءِ ، حَيْثُ جَلَسَ مَتَّجِهَاً نَحْوَ الْمُحِيطِ الْوَاسِعِ ، وَظَهَرَهُ إِلَى
الْمَدِينَةِ .

وهنا انطلقت الصيحة المهيجة . . ! الصيحة التي لا يمكن
أن يتجاهلها أو يقاومها غلامٌ :

«ها - وكال رمضان ! ها - مضيع الإيمان !»

كلماتٌ كالمغناطيس في مفعولها الجذاب للصغار! كانوا
يخرجون من تحت تحذير الكرة سريعاً حين يسمعونها، ويبدأون
في البحث حواليتهم عن مواد طيارة تصلح للرجم، ثم
ينضمون إلى الهاتفين وقد امتلأت حجورهم وأقباهم بالحجارة
والأخشاب وقطع الفلين التي كانت تبقى من رافعات
الشباك . . .



ولم تَمُضْ بِضِعْ دَقَائِقَ حَتَّى كَانَ مَا يُعَادِلُ نِصْفَ سَكَّانِ
الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَطْفَالِ يَتَحَرَّكُونَ بِغَرِيزَةِ الْجَرَادِ نَحْوَ هَدَفٍ
وَاحِدٍ . . . العَسْكَرِيِّ!

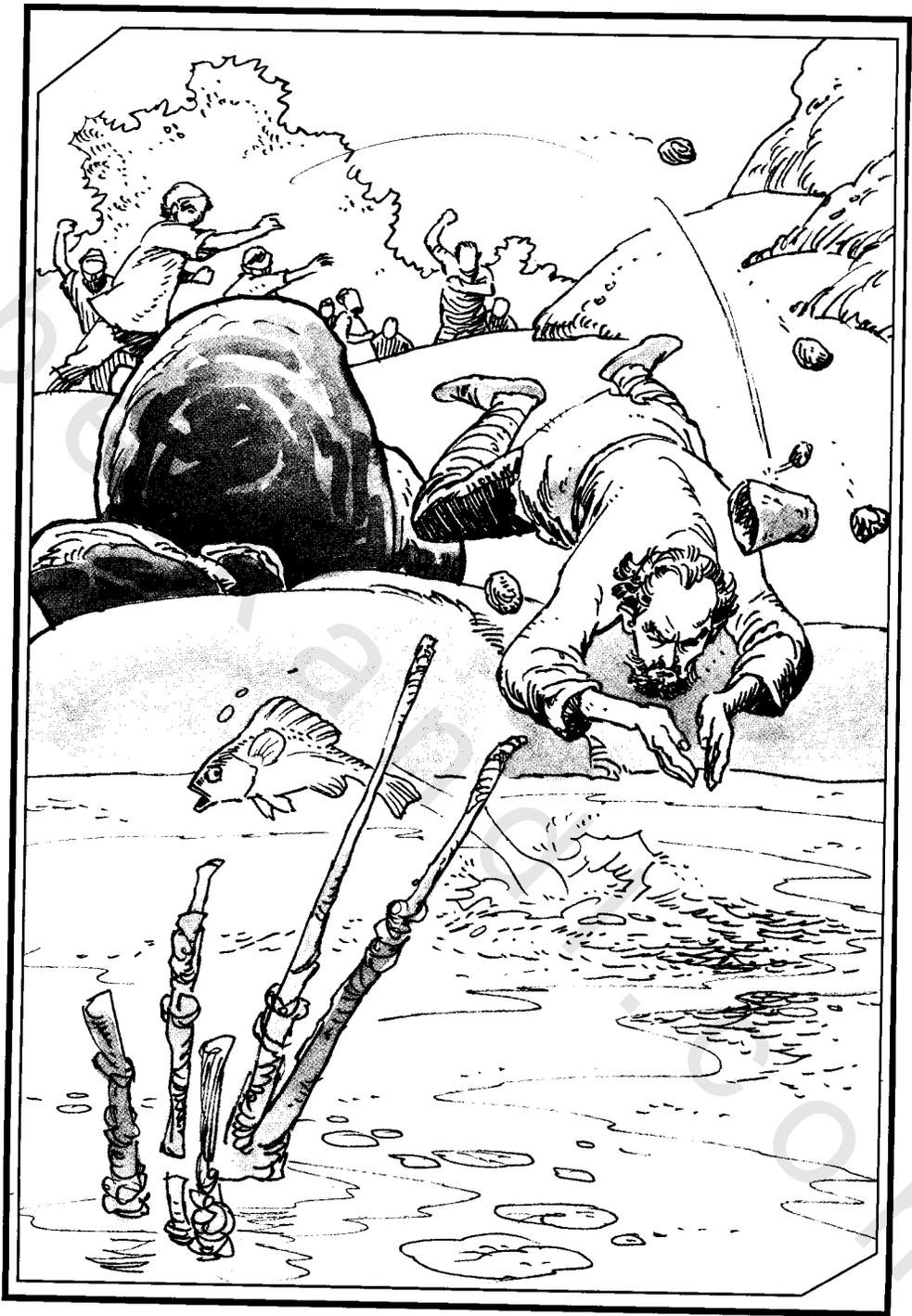
«ها - وكال رمضان ! ها - مُضِيعَ الْإِيْمَانِ !» .

كَانَتْ تَعْلُو كُلَّمَا انْضَمَّتْ فِرْقَةٌ إِلَى الْجَيْشِ الْعَرْمَرَمِ فَوْقَ
الْمِينَاءِ، حَتَّى ضَاقَ بِهِمْ، وَثَقَلَ بِمُضْطَبَّتَيْهِ الْعُلْيَا وَالسُّفْلَى،
وَدَقَّتِ الْأُورَازُ (*) الْيَابِسَةَ عَلَى الْأَرْضِ كَحَوَافِرِ الْخَيْلِ، وَعَلَّتِ
الْأَصْوَاتُ حَتَّى كَادَتْ السَّمَاءُ تَقَعُ، وَالرَّجُلُ مَا يَزَالُ مُدِيرًا ظَهْرَهُ
لِلْعَالَمِ الَّذِي أَخَذَ يَنْهَارُ!

كَانَ قَدْ فَلَقَ الدَّلَاحَةَ، وَبَدَأَ يَغْرِزُ أَسْنَانَهُ فِي أُطْرَافِهَا
الْحَمْرَاءِ، مُلْتَدًّا بِالْفَاكِهَةِ الْمُحَرَّمَةِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ أَنَّهَا
سَتُخْرِجُهُ قَرِيبًا مِنَ الْجَنَّةِ!

وَبِإِحْسَاسٍ غَرِيظِي التَّفَتِّ لِيُوكِّدَ شُعُورَهُ بِالْخَطَرِ. فَاتَتْ
الْأَوَانَ . . ! الْفَتِيلُ بَلَغَ نِهَائَتَهُ، وَشَطَايَا الْقُنْبُلَةِ فِي طَرِيقِهَا إِلَيْهِ . . !
وَكُنْتُ أَطْحَنُ كَبِيدِي وَأَنَا أَعْدُو، وَأَحَاوِلُ أَلَّا أَسْقُطَ فِي
الْبَحْرِ، حَتَّى أَسْبِقَ الْكِبَارَ إِلَيْهِ، وَأَكُونَ فِي الْمُقَدَّمَةِ لِيَرَانِي . . .

(*) جمع وَرِز: مؤخرة القدم.



نَظْرَةٌ رُغْبٍ وَاحِدَةٌ عَلَى وَجْهِهِ . . . نَظْرَةٌ اسْتِعْطَافٍ وَاحِدَةٌ فِي
عَيْنَيْهِ نَحْوِي كَانَتْ تَشْفِي تِلْكَ الْجُرُوحَ الْعَمِيقَةَ الَّتِي تَرَكْتَهَا
إِهَانَتُهُ وَحُرْقَةَ سِجَارَتِهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ الْمَاضِي!

وَبَدَأَتِ الْحِجَارَةُ تَتَطَايَرُ مِنْ فَوْقُ . . . الْيَائِسُونَ مِنَ السَّبْقِ
بَدَأُوا يَضْرِبُونَ بِهَا حَتَّى يَكُونَ لَهُمْ فَضْلُ السَّبْقِ! وَوَقَفَ هُوَ . . .

لَمْ أَرِ رَجُلًا فِي حَيَاتِي يَرْفُضُ أَنْ يَمُوتَ بِذَلِكَ الْاِزْتِبَاكِ! بَدَأَ
يَبْحَثُ حَوَالِيهِ عَنْ شَيْءٍ يُدَافِعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ . . . لِأَشْيَاءٍ غَيْرِ
قُشُورِ الدَّلَاحِ وَأَطْرَافِهِ . . . بَدَأَ يَزْمِينَا بِهَا فِي يَأْسٍ! ثُمَّ فَتَحَ
الْمُوسَى الَّذِي كَانَ يَقْطَعُ بِهِ، وَوَقَفَ فَاتِحًا سَاقِيهِ لِاسْتِقْبَالِنَا . . .
ثُمَّ عَادَ يُخَبِّئُ خَلْفَ سَاعِدَيْهِ مِنْ أَمْطَارِ الْحِجَارَةِ الْوَاقِعَةِ عَلَى
كُلِّ بُقْعَةٍ فِي بَدَنِهِ! . . .

وَبَدَأَ يَصِيحُ وَيَسْتَعِيثُ . . . ثُمَّ انْحَنَى وَقَعَدَ الْقُرْفِصَاءَ لِيَصْغُرَ
المساحة البدئية التي يَقَعُ عَلَيْهَا الرِّجْمُ . . . وَأخيراً تَمَدَّدَ عَلَى
الأرضِ وَتَلَوَّى وَاضْطَرَبَ، وَكَأَنَّ الْجِنَّ تَعَاوَرَتْهُ . . . وَلَمْ يَشْفَعْ
لَهُ ذَلِكَ، فَالشُّهُبُ مَا زَالَتْ مُسْتَمِرَّةً . . .



وفي النهاية قام بسرعة، ورمى بنفسه في البحر... ووقفنا
نحن على رأس الميناء نتفرج عليه وهو يغالب الأمواج في منطقة
صعبة، البحر دائماً فيها شريراً مخاتلاً... سبح داخل شلال
من الحجارة حتى ابتعد عن مَرَمَانَا جميعاً، وسبح قاصداً رأس
الميناء المقابل لهذا. كانت المسافة لا تزيد على ربع كيلو متر،
ولكن تكسر الأمواج وشدة التيار وثقل الملابس جعلها مسافة
بعيدة مرهقة...

وكافح حتى انقطعت أنفاسه... ولا بد أنه أثناء محنته نذر
أن يصوم الدهر لو نجاه الله من هذه!

وبعد جهدٍ طويلٍ أمسك بأول صخرة في الميناء الآخر،
فتعلق بها يلهث ويستريح... ثم صعد فوقها واستلقى، وقد
استرخت أعصابه، وعاد النظم إلى أنفاسه المبهورة...

وبعد بضع دقائق وقف يخلع ملابسه ويعصرها، ثم ينشرها
فوق الصخور حتى بقي في قميصه الداخلي، وإذا بالأصوات
ترتفع فجأة من خلفه!

كَانَ الْجَيْشُ الْمَتَطَوِّعُ قَدْ وَصَلَ إِلَى رَأْسِ الْمِينَاءِ الْآخِرِ . . .
وَبَدَأَتْ الْأَحْجَارُ تَتَطَايَرُ، مَرَّةً أُخْرَى، فِي اتِّجَاهِ وَاحِدٍ . . .
العسكري مفطر رمضان !

سؤال : «هل قفز العسكري إلى الماء مرة أخرى؟» .

جواب : «بكل تأكيد!»

قصد رأس نفس الميناء الذي جاء منه، وعاد نفس الجيش
الجرار ليكون في استقباله هناك !